النخـب والإشكـالية الثقافـية في الجزائـر

د. بن حوى مصطفى د. مقدم أحلام صارة

كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2-الجزائر

ملخص: نحاول في هذه الدراسة تحديد العلاقة الموجودة بين النخب والثقافة – الإشكالية الثقافية- في المجتمع الجزائري، وذلك من خلال إبراز أهم المحاور الموجودة في النسق الثقافي وعلاقته بالمتغيرات الأخرى مثل: السياسة، المجتمع، الدين، الهوية، وتحديد أهم النخب الفاعلة في المجتمع المتمثلة في النخب السياسية والثقافية، ويختلف دور النخب حسب الزمان والوسائل المتاحة لها في صياغة الثقافة والحفاظ عليها، وقد يكون دورها سلبيا عليها، وحاولنا إبراز المميزات العامة التي تنفرد بها كل نخبة وهنا نلاحظ الاختلاف بين النخب الفاعلة، وفي الأخير تطرقنا إلى مسألة مهمة وهي النخب المثقفة وبناء مشاريع ثقافية فكرية في البلدان العربية عامة وفي الجزائر خاصة.

الكلمات مفتاحية: النخب، الثقافة، السياسة، المجتمع، الدين، الهوية، العنف.

The elites and the cultural problem in Algeria

Abstract: In this study, we try to determine the relationship between elites and culture - the cultural problem - in Algerian society, by highlighting the most important themes in the cultural context and its relationship to other variables such as: politics, society, religion, identity, and identifying the most important actors in society Represented by the political and cultural elites, and the role of the elites varies according to time, means and means available to them in the formulation and preservation of culture, and its role may be negative for it, and we have tried to highlight the general characteristics that are unique to each elite and Here we note the difference between the active elites, and in the last we discussed an important issue which is the intellectual elites and building cultural and intellectual projects in the Arab countries in general and Algeria in particular.

Key words: Elites, Culture, Politics, Society, Religion, Identity, Violence.

مقدمة:

عرف النسق الثقافي في الجزائر مجموعة من المشكلات أدت إلى دخوله في أزمة أثرت على مختلف المستويات خاصة السياسية والاجتماعية، حيث شكلت الثقافة بمفهومها الواسع جملة من الأفعال والسلوكيات أنتجها المجتمع عبر القرون، وقد ساهمت همجية الاستعمار الفرنسي في تشويه الثقافة الجزائرية، ودفعت المجتمع إلى الاعتقاد بأن التنوع الثقافي يعتبر خطرا عليه، وغرست فيه نمطا من الجهوية والأفضلية بين الأفراد والجماعات. فازدادت تداعيات هذه الأزمة بعد استقلال الجزائر لعدم اعتماد النظام السياسي على إرادة حقيقة للإصلاح والتطور، وعدم اقتناعه فكريا لمبدأ تقبل الرأي الآخر وثقافة الاختلاف لدى المجتمع الواحد، مما تسبب في ظهور أزمات أخرى في المجتمع مثل الربيع الأمازيغي سنة 1980 بأبعاده السياسية والاجتماعية والثقافية، كانت نهايتها العشرية السوداء وما صاحبها من تفكك في المجتمع وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي، إضافة إلى أزمة الهوية وانتشار العنف وهجرة الأدمغة وغيرها من الصراعات الأخرى التي واجهتها الجزائر.

في ظل وجود أزمة ثقافية بطابعها الاجتماعي والسياسي، وكذا محاولة النظام السياسي عدم استعمال الثقافي في قضايا تهدد انقسام وامن الوطن الواحد، نطرح التساؤل التالي: أين هو دور النخب بمختلف مشاربها وتوجهاتها في الحفاظ على التنوع الثقافي بما يخدم المصلحة العامة، عن طريق دراسة مكامن وأسباب توجه الثقافة المنتشرة نحو إبراز نقاط الاختلاف والتشتت، وصياغة ثقافة تجمع كل الثقافات وتنبذ كل أنواع التطرف؟.

1.المشكلة الثقافية في الجزائر:

للوصول إلى معرفة المشكلة الثقافية في الجزائر يجب طرحها من خلال بعدها التاريخي، وهل كانت هذه المشكلة قائمة قبل الاستقلال، وماذا تغير بعده من الطرح والتعقيد والخلفيات في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية في الجزائر. البعد التاريخي يوضحه الجابري في مسألة "ظهور المثقف على أنه مرتبط بظهور الخلاف* – بين النخب والسلطة، أي ظهور الآراء والاختلافات المتعددة والمختلفة"(نبيل حليلو وطارق مخنان، 2013، ص189). في هذا السياق يمكن القول، متى بدأت المشكلة الثقافية في الجزائر؟، وما هي، والمتغيرات التي كانت سببا في نشأتها وتطورها.

يعتبر الأستاذ "عمر بن قينة" من النخبة العلمية التي حاولت التنظير لمسألة الثقافة في الجزائر، في تجاذباتها التاريخية والسياسية والاجتماعية والهوياتية وكذا صراع المثقف والسياسي، حيث يقول "بدأت المشكلة الثقافية في الجزائر تأخذ لها أبعادا جديدة بعد الاستقلال السياسي 1962، بعدما رحل المحتل، لكنه قبل الرحيل أناب عنه أتباعا ينجزون مشاريعه في السر والعلانية، ... ومن دون صرامة كاملة في تأكيد (العمق الثقافي)، المحمي بقوة القانون الذي لا يقبل التأويل، كصمام أمان في وجه التلاعب والانحراف الذي مارس الإبادة لتراث الأمة النضالي، وعمل للحيلولة دون التطور الثقافي الوطني المنشود، فانتهى إلى محاولة جادة لمسخ الأمة في تاريخها، وفي لسانها وفكرها وروحها، وامتد ذلك للدين نفسه، حتى وقفنا اليوم على مشارف القرن الواحد والعشرين والمواطن في حيرة من أمره،... مما أضفى إلى أزمة عنيفة أنجبت المشكلة

الثقافية"(عمر بن قينة، 2000، ص14). ولكن من خلال هذا التعريف نجد أن الباحث قد أهمل التأثير السياسي للأزمة الثقافية في الجزائر حيث اعتبرها ثقافية محضا، متناسيا مدى تأثير التفاعلات السياسية على ثقافة المجتمع، باعتبار هذا الأخير متغيرا أساسيا يحمل في طياته بوادر بناء وتطور الدول وانتشار الثقافات عبر المجتمع، خصوصا مع كثرة الحروب والأزمات السياسية التي تهدد ثقافة المجتمعات وتأزم الواقع الاجتماعي.

والمتتبع للأزمة الثقافية في الجزائر يجد أنها قد خطط لها سياسيا، حيث عمل المستعمر على ضرب الهوية الوطنية، من خلال تدمير اللغة والدين ونشر الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، كما عمل على تعليم فئة من العائلات الجزائرية بلغة المستعمر وغرس ثقافته وهويته، ونشر النصرانية في مناطق معينة من الوطن، وتجهيزهم لما بعد الاستقلال ونجحت فرنسا في هذه الإستراتيجية الثقافية، التي ما زالت أثارها ونتائجها إلى يومنا هذا، "ومن هذا المنطلق فالصراع السياسي في الجزائر قد ارتبط بالمسألة الثقافية كإيديولوجيا ومرجعية مغذية لهذا النزاع. فالمسألة الثقافية في الجزائر قد عرفت انقساما خطيرا على مستوى بنية النخب المكونة للحقل الثقافي والفكري في الجزائر، وهذا الانقسام لم يكن وليد عهد الاستقلال وإنما قد تجلت بوادره داخل مؤسسات الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وقد تكرس وعيد إنتاجه بطريقة واسعة بعد الاستقلال. فانقسم المجتمع ونخبته إلى مجموعتين، مجموعة تمثل الانتلجنسيا المفرنسة (..) ومجموعة ثانية معربة تنتمي إيديولوجيا إلى المشرق العربي (..) وبطبيعة الحال كل واحدة تعمل وتناضل من أجل ممارسة الهيمنة على الجميع"(سلاف نعيمة وكدورلي عبد الكريم، 2015، ص183)، ومن هنا بدأ انقسام المثقف بين مفرنس ومعرب يعرف صراعات في فترات معينة وهدنة في فترات أخرى، وهو انقسام وصراع النخبة، لكن الأخطر من ذلك هو اتساع الهوة بين فئتين من نفس المجتمع، وهم مواطنون عاديون يختلفون في اللغة، وهذا هو الهدف البعيد الذي كان يسعى إليه المستعمر الفرنسي، ليس انقسام النخبة فقط بل المجتمع الواحد الذي من المفروض تجمعه نفس اللغة والدين والعادات، وهي نفس مكونات الثقافة، وعليه تعيش الثقافة الجزائرية مشكلة كبيرة، وجب دراستها دراسة معمقة سوسيوثقافية وسياسية، فإذا كان من أهداف الثقافة في أي مجتمع جمع أفراده، فنحن نعيش في مجتمع فرقته هشاشة ثقافته نظرا لاختلاف رؤيته وتصوراته.

برزت أزمة اللغة والهوية في سياقها الثقافي، صراعا بين المثقفين الجزائريين بعد الاستقلال، خاصة أن السلطة لم تتخذ موقفا حازما وتركته للنقاش الفكري الوطني بين مثقفيها، إلا أنهم أعطوه بعدا سياسيا وإيديولوجيا، ومن بين النخب التي حاولت التنظير لمشكلة اللغة مصطفى لشرف، وأحمد بن نعمان وعثمان سعدي ومولود قاسم نايت بلقاسم، إذن هو صراع بين مثقفين بنكهة سلطوية وفي فترة زمنية عرفت الكثير من التحولات والصراعات السياسية، إلا أنها لم تخرج بقرارات نهائية وبقيت بين المد والجزر.

أما بالنسبة للجيل الجديد من المثقفين الجزائريين، بقي مشكل اللغة والهوية مطروحا لأنه نتاج منظومة تربوية وانقسام المجتمع إلى قسمين، وما زال الصراع قائما بين المعرب والمفرنس، لكن اقل حدة مقارنة مع الجيل القديم من النخبة المثقفة، وذلك بسبب الانفتاح على العلوم والثقافات

الأخرى، فرضتها حاجة المجتمع إليها وانتشار العولمة الثقافية في جميع المجتمعات العالمية. وعليه تجاوز الجيل الجديد نسبيا إشكالية اللغة والهوية، وهذا ملاحظ في الإنتاج الفكري الخطابي، رغم ظهوره بين فترة وأخرى كحنين للماضي، أو محاولة تجديد الخطاب بما يحمله من قضايا الثقافية، وصار المثقف يكتب حسب المتغيرات الجديدة والأحداث المتسارعة، التي تمس قضايا المواطن والمجتمع خاصة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية. إلا انه خطاب ضعيف بسبب ضغط السلطة على النخب المثقفة، ويبقى الجيل الجديد يحاول التكيف مع واقعه.

في إطار علاقة الثقافي بالسياسي في بعده التاريخي النخبوي، يقول عمار بلحسن حول موضوع المشروعية والتوترات الثقافية، حول الدولة والثقافة في الجزائر "أن التجربة التاريخية الوطنية في المغرب المعاصر والجزائر، تشير إلى نجاح المشروع الوطني، وثبات مسار تكوين الدولة-الأمة، وتوافر إجماع شعبي على مشروعيتها التاريخية والآنية، فكل النخبات الوطنية تتبنى الدولة وتعتبرها مؤسسة مركزية ومرجعية للانتماء السياسي، وهيكلا واقعا وملموسا للبناء الوطني ورمزا إيديولوجيا للهوية التاريخية والثقافية، لاسيما أن هذه النخبات السياسية الوطنية قد تغلبت على ماضيها النضالي على التيار الإسلامي"(لبيب الطاهر، 1992، ص320). هذا التفاؤل لا يخلو من اضطرابات تعيشها الثقافة ممثلة في نخبتها، حول أهمية وجود الدولة لاستمرارية المجتمع، باعتبارها قاعدة عامة لأن وجودها من المفروض أنه يخدم ثقافة المجتمع ويبرز نخبها، في إطار علاقاتي نفعي هدفه الوصول إلى توافق بين قوة الدولة ودور النخب المثقفة في نسق ثقافي شامل، وتفادي صدام النخب السياسية مع النخب الثقافية.

لكن مع التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها الجزائر في الألفية الجديدة، في ظل التحولات العالمية، وبروز الكثير من المتغيرات وتباين الأدوار، زادت هوة المشكلة الثقافية في الجزائر، وأصبحت الكثير من الأطراف سواء جماعات وأفراد أو نخب مثقفة، على تحيينها والنبش فيها واستعمالها لضرب مقومات المجتمع واستقراره مما يهدد أمنه. وكثيرة هي القضايا الثقافية التي تُستعمل في الأدوار السلبية التهديمية، مثل مسألة الهوية الوطنية متمثلة في التعدد اللغوي والحرية الدينية، وإعطائها صبغة سياسية وواجهة دينية، من أجل أهداف معينة وللمحافظة على المصالح.

إلا أنه لا يمكن أن تحدث ثورة إلا بتوفر شروط معينة، من بينها وعي المجتمع بوضعيته الحضارية ودور نخبته المثقفة في صياغة المناهج الثقافية، وإرادة أصحاب القرار السياسي، مما يعني أن إشكالية الثقافة هي مسئولية الجميع، من مجتمع ونخبة مثقفة وسياسيين. لأن ما يحدث هو العكس سواء تهميش الفئة المختصة بالثقافة في إطار منهجي تحدده السلطة، إذن في العموم يمكن أن نستنتج بأن المشكلة الثقافية في الجزائر، مشكلة انعدام سياسة ثقافية بالدرجة الأولى، لأن السلطة مازالت ترى الثقافة آخر اهتماماتها الإصلاحية، مهتمة بقضايا سياسية محضة مرتبطة بمصالحها في ظل اضطرابات في اللعبة السياسية والتحولات الخارجية.

المشكلة – أزمة – الثقافية في الجزائر بدأت حدتها في فترة ما بعد الاستقلال، وهذا ما وضحه عبد القادر جغلول على "أن هناك عجزا في إنتاج خلاصة ثقافية قادرة على تأسيس فضاء جديد مُنسجم"(قرفي عبد الحميد، 2011، ص150). وهذا الوضع يطرح الكثير من الأسئلة من بينها،

هل النخب المثقفة الجزائرية تعيش أزمة فكر وإنتاج؟، لماذا لم يصل مثقفينا في الجزائر إلى مرحلة النضوج؟، ونقصد هنا، لماذا لم تتحد النخب المثقفة في هيئة فضاء نخبوي ثقافي ومعرفي قوي، يصبح صدا منيعا ضد كل ما يُشوه ثقافتنا ويهدد مجتمعنا، حتى ضد السلطة الحاكمة؟، أم أنها ستبقى مجرد كلام ناقم على الوضع لا يسمع صداه.

ستبقى الثقافة عنصرا مهما في بناء الفرد والجماعات والحضارات في كل الأزمنة، خاصة في عصرنا الذي تهدده الكثير من التحولات والمتغيرات، لأن وجود خلل في المجتمع يعني وجود خلل في ثقافته ومثقفيه، لكن قبل أن نبدأ في ترميم ثقافتنا وترقية مثقفينا، يجب على السلطة أن تضع مجموعة من الخطط والاستراتيجيات، واحدة على المدى القريب لتحديد الأدوار بين النخبة المثقفة والسياسي، وإنقاذ كل ما يمكن إنقاذه حول المسائل الكبرى التي تعتبر تحديا أو تهديدا لاستقرار المجتمع، والثانية على المدى البعيد هدفها بناء جيل جديد متشبع بثقافته، يمكنه مواجهة كل ما يهدد مستقبله ومستقبل بلده، حتى وان كانت ثقافة دخيلة.

1.1.الثقــافـــة والسياســـة:

الثقافة باعتبارها نسقا عاما تتجلى صوره في جميع الأنساق الأخرى، الموجودة في بناء الحضارات والمجتمعات، منها الاجتماعية والسياسية والثقافية وحتى الاقتصادية، حتى أصبح لا يمكن الفصل بين الثقافة والمتغيرات الأخرى في بناء الحاضر للوصول إلى المستقبل، لأن الثقافة هي صورة المجتمعات وخريطة الحضارات. وعلاقة الثقافة بالسياسة هي جدلية المثقف والسلطة، هذا التصادم المبني على نمطية الصراع قد بينه ادوارد سعيد من خلال إسقاطه على العالم العربي الإسلامي، حيث يقول أن "المفردتان المستخدمتان Intelectual هما "مثقف" و"مفكر"، أولى مشتقة من "ثقافة" Culture أي انه رجل ثقافة، والثانية مستمدة من "فكر" Thought أي أنه رجل فكر. في كلا الحالتين تزداد هيبة المعنيين وتتعزز بالمقارنة المضمرة مع أهل السلطة، الذين يعدون الآن على نطاق واسع فاقدي المصداقية والشعبية، أو تعوزهم الثقافة والفكر"(ادوارد سعيد، 2005، ص141). هذه العلاقة التي وضحها ادوارد تبين أنه صراع قديم بين المثقف والسياسي، وكأن السياسة دائما في وجه الثقافة أي في وجه التغيير والتنوع الذي يدافع عنه المثقف، باعتبار أن السياسي يرى التغيير على أنه تهديد دائم لبقائه في السلطة.

أما العلاقة بين الثقافة والسياسة –المثقف والسياسي- هي علاقة قديمة قدم المجتمعات، إلا أنها لم تكن واضحة التفاعلات والأدوار، لعدة أسباب من بينها التطور التكنولوجي الكبير، الذي قرب المجتمعات بمختلف ثقافاتها، بالإضافة تميز العالم الحالي بالتشابك في شتى المجالات، المبنية على المصالح والماديات في شكله الاقتصادي، حيث أصبح عاملا مهما في تلاقي الثقافة بالسياسة والمثقف بالسياسي. ويرجع سبب اختلاف المثقف بلدان العالم الثالث ومثقف بلدان المتقدمة، إلى بعدها التاريخي وخاصة عصر الأنوار، حيث كان المثقف الأوروبي في تلك الفترة يمر بنفس ما يعيشه المثقف العربي حاليا (تشابه تقريبي)، أما الآن فقد ساعدته الكثير من المؤسسات في مهمته، مثل الصحافة والأحزاب والرأي العام وغيرها من التنظيمات الأخرى.

هناك إشكالية عند الكثير من المثقفين وهي الجمع بين المهنة الثقافية والسياسية، حيث يقول إدريس صابي "يحدث في بعض الأحيان النادرة أن يجمع المثقف بين الممارسة الثقافية

والممارسة السياسية الفعلية، مبررا سلوكه في الجمع بين الاثنين بمبررات عدة، من أهمها: أنه القائم الأمين على تفعيل مشروعه الثقافي في الواقع العملي، ثم إن المثقف حين يلحظ المكانة السامقة للفعل السياسي في كل مشروع ثقافي يحمله ما يترسخ لديه من الاعتقاد على المبادرة إلى الجمع بين الشأنين"(ادريس صابي، 2014، ص41). المشكلة الحقيقية ليست في انتقال المثقف إلى الممارسة السياسية، بل ما هي أهمية انتقاله في عملية خدمة المثقف والثقافة وهو في موقع صناعة القرار السياسي، أم أن الجمع بين الممارستين له أهداف شخصية أم من أجل الجمع فقط، لأنه نادرا جدا ما نشهد انتقال السياسي من مجاله إلى المجال الثقافي، لأنه سيفقد دعم ونفوذ وقوة السلطة والواقع القاسي أن الثقافة تحت سلطة السياسة.

في ظل علاقة المد والجزر بين الثقافة والسياسة، تطرح الكثير من الأسئلة بين من يؤسس للآخر أو مَنْ يحتوي مَنْ؟، أم أننا في زمن أصبحت فيه الثقافة وسيلة من وسائل السلطة تطرحها للتداول في أوقات الشدة، حتى تُشغل المجتمع ونخبه لإتمام مصالحها وفرض منطقها، في وقت الرداءة السياسية. تاريخية العلاقة بين الثقافة والسياسة دليل على حضورها في كل المناسبات السياسية، وتبقى كيفية استعمالها وما مدى تأثرها وتأثر قالبها "المجتمع" ومنظريها "النخب"، بمدى ودرجة تداخلها مع السياسة على حساب الأنساق الأخرى.

نستطيع أن نقول بان الثقافة الجزائرية مرت بمرحلتين، مرحلة الأحادية التي عُرِفت بِرفض كل ما هو متعدد سواء سياسيا أو اجتماعيا أو دينيا، هذه الأحادية الشكلية قوضت الثقافة وعزلتها عن الاحتكاك الثقافي العالمي، لكن في المرحلة الثانية التي عملت السلطة على الانفتاح الثقافي، من خلال الحرية الدينية وسياسة التعريب والانفتاح السياسي ودسترة اللغة الامازيغية كلغة وطنية، باعتبارها مرحلة تأسيس ثقافي وطني، إلا أنها أخذت الكثير من الوقت، وطغت عليها الصبغة السياسية للوصول إلى أهداف من خلال أجندة محكمة.

من المفروض على المثقف الجزائري أن يقف ضد السلطة ووسائلها موقف حق من حين إلى أخر، حتى نشهد ميلاد المثقف الحقيقي في المجتمع "موقف المثقف من السلطة"، حيث "يوافق ادوارد سعيد المفكر الأمريكي رايت ميلز، في أن المفكر إن لم يربط نفسه ذهنيا بقيمة الصدق في الكفاح السياسي، فلن يستطيع، على نحو مسئول، أن يكون على مستوى التجربة الحية بكاملها. وهذا الصدق يفرض عليه منازعة صور السلطة ورواياتها الرسمية، وتبريراتها التي يضم ضخها على نحو دائم وبوسائط متعددة. والسؤال يتحتم على المثقف مواجهته على نحو يومي: كيف يقول المرء الحق؟ وأي حق؟ ولمن؟ وأين؟"(بن خدة نعيمة، 2012/2011، 111). لن يتحرر المثقف الجزائري في نقد السلطة إلا إذا تحرر من قيود النظام بالدرجة الأولى ورفع مستوى النقد بما يتناسب مع صعوبة الوضع وابتعاد عن الابتذال ونبذ أشباه المثقفين بالدرجة الثانية، وكذا وضع الثقافة الجزائرية المتأزمة بأبعادها موضع الدراسة والتحليل والمناقشة ببعدها الوطني.

2.1 الثقافـة والمجتـمـع:

الثقافة هي تاريخ المجتمع والرابط بين أفراده في الحاضر والمساهم في تطوره في المستقبل، ولكي تتجاوز الثقافة هذه المراحل يجب عليها أن تتكيف مع التحولات التي تفرضها الحركية المجتمعية والحضارية، كما يجب عليها أن تقوم بعملية التصفية لكل ما يتعارض وتطور العلمي،

لأنه لا يمكن أن ننفي ما هو علمي لتأكيد عادات وتقاليد المجتمع. كما يقول مروان راسم كمال "إن ثقافة المجتمع بمكّوناتها المعقدة تتطلب إعادة بناء حقيقية، أولا: لتقليل دور ذلك الجزء المعتمد على الماضي وثانياً: لتطوير الثقافات المكملة وثقافة المفردات الحضارية المعاصرة. وثالثا: لتطوير الثقافة المعاصرة التي تحل محل مفردات فرضتها البيئة الطبيعية على مدى العصور فالثقافة المجتمعية تستند أساساً إلى التاريخ"(مروان راسم كمال، ص15). هي عملية حساسة تعتمد على عاملين أساسيين أولهما النخب المثقفة باعتبارها الأكثر دراية بعلاقة الثقافة بالمجتمع، وما يتناسب وتطور المجتمع بدون تعارض مع ثقافته المتعددة، أما العامل الثاني هي الجامعة التي تحمل المثقفين وتنتج غالبية المعرفة أو تنقلها من جيل إلى جيل، حتى نُوجد تناسقا بين الثقافة والعلم والمجتمع.

يمكننا أن نتطرق عند ربط الثقافة بالمجتمع إلى إشكالية الثقافة الجزائرية بين الماضي والحاضر، ففي العقود الأخيرة لم تشهد الثقافة الجزائرية حراكا سريعا، في ظل الكثير من الأحداث التي عاشها المجتمع، وكأن سلطة خفية تقيد حركة الثقافة بما يتناسب مع مصالحها، وهذا ما تطرق إليه الباحث عبد الكريم عنيات في تقديره الخاصحيث يرى "أن رهان الثقافة الجزائرية، التي تعاني مرض الانعدامات والنقد المتساهل والشكلي، هو التأسيس لنقد الثقافة من أجل ضخ الدماء الجديدة في عروقها القديمة"(عبد الكريم عنيات، 2018، ص32)، إذ اعتبر أن نقد الثقافة الجزائرية يواجه الكثير من العقبات، أولها النهوض بالمثقف باعتباره الناقد لثقافة يحملها، والمتشبع بأفكارها وتاريخها والناقم على حالها بين ثقافات المجتمعات الأخرى، ولكن عند التتبع لظواهر المجتمع وتسليط الضوء على مشكلاته نجد أن النهوض الحقيقي بثقافتنا يحتاج من أصحاب القرار السياسي فك قيودها، باعتبار الثقافة كيان يتحرك داخل المجتمع، أو ترك المجال السياسي للجيل الذي بعده أو للأجيال الأخرى، أجيال تحمل التزاوج الثقافي بين الماضي والحاضر في قالب معرفي، فالجيل الحاكم كاد بدوره أن يوقف حركية المجتمع الجزائري.

يقول الباحث جمال قريد أنه "في الجزائر، هناك مجتمعان مختلفان ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين يواجه كل منهما الآخر، وكل واحد، من خلال وسيط النخبة، يسعى جاهداً إلى ترسيخ هيمنته على المجموعة الاجتماعية بأكملها. ما يميز هذا الجهد هو أنه يهدف إلى محو الآخر، واستئصال هذا الاستبعاد يأخذ شكل طرده من المجتمع الوطني"(Djamel GUERID, 2002, p 55). وأصبح جليا هذا الوضع بعد الاستقلال مباشرة، وانقسم المجتمع بشكل عام إلى فئتين (فئة معربة وأخرى مفرنسة) نخبويا واجتماعيا، لكن الصراع الذي مثله انقسام المجتمع لم يكن بنفس حدة صراع النخب المثقفة، التي تجاوزت الحدود في بعض الأحيان، وأظهرت الأزمة الثقافية التي يعيشها المجتمع، وأحيانا أخرى كانت سببا فيها، خاصة في موضوع الهوية في ظل التنوع اللغوي وارثي والفكري الذي يتمتع به المجتمع الجزائري.

عاش المجتمع الجزائري تحت سلطة الحزب الواحد الذي أخذ شرعيته وقبوله من الشرعية الثورية، التي مهدت له البقاء في النظام السياسي لعقود طويلة، وهذه الإيديولوجية السلطوية أغلقت على عملية تكوين النخب السياسية ذات الرصيد العلمي والخبرة السياسية، بعيدا عن الشرعية الثورية. وهذا ما وضحه مصطفى حداب أن "الدرجة التي يكون فيها وزن المجال

السياسي كمكان لتكوين النخبة محدودًا، مقارنةً بالمجالات الأخرى (مثل المجال الاقتصادي، والمجال الفكري والعلمي، والمجال الفني.. الخ)، يمكن بلا شك أن يشكل مؤشراً على أهمية التراكم المادي والرمزي الذي يتمتع به المجتمع"(Mustapha HADDAB, 2002, p 70).

في المقابل ساهم التنوع الثقافي في المجتمع على إنتاج نخب مثقفة، تبحث في المجال الثقافي بأبعاده التاريخية وتجاذباته السياسية والفكرية، إلا أن حريته الفكرية كانت محدودة في ظل التهديد السلطوي، لان نظام الحزب الواحد لم يمارس الديمقراطية وكانت إيديولوجيته واضحة وكل ما يهدد بنيته يعتبر خطرا حتى وان كانت فئة المثقفين.

3.1 الثقـافــة والديــن:

باعتبار أن الثقافة هي ذلك الوعاء الكبير التي يحمل داخله كل تاريخ المجتمع، وهو نتاج حركية أفراده من عادات وتقاليد وقيم ولغة وفكر، التي تتجلى رؤيتها في السياسة والاقتصاد واجتماع. والدين هو جزء مهم في تكوين المجتمعات والحضارات، ويتحكم كثيرا في سلوكيات وأفعال أفراده، حتى تصبح ثقافة دينية تتمايز بها المجتمعات، كما يقول عبد الغني عماد "هي نمط من التفكير والسلوك يكتس منطقا ذاتيا خاصا... فالثقافة الدينية أو الدين له حلتان، يمثل في الأولى نسقا كاملا يمد المؤمنين بأنماط متكاملة في ما يتعلق بالقيم وإدراك الوجود، ويمثل في الثانية عنصرا فعالا وقدرة ديناميكية داخل نسق اشمل، يتمثل في الاجتماع المدني بأبعاده السياسية والوطنية والقومية والإنسانية"(عبد الغاني عماد، 2006، ص139). إلا أنه أحيانا تتصادم الثقافة مع الدين ويرفض هذا الأخير جزء من ثقافة المجتمع، وهو تصادم بين الأفكار والفئات الاجتماعية، لدرجة أنه قد تنتج عنه قطيعة بين مُتمسك بثقافة معينة والآخر متمسك بما يمليه الدين رغم أنهما يصبان في وعاء واحد، لكن هذا التصادم كثيرا ما ينتهي بقبول وتكيف الطرف الأول مع الثاني أو العكس. لكن يبقى تصادم الديني مع العلمي هو ما يشكل خطرا على المجتمع والثقافة، وهذا ما تشهده الكثير من المجتمعات التقليدية، الرافضة للتطورات العلمية والتكنولوجية حجتها أنها خطر على أفكارها وبنيتها وبقاءها، خاصة بعض الجماعات والفئات المتطرفة والمتشددة دينيا وفكريا، فأصبح تصادمهما سببا من أسباب انتشار العنف وتعدي على الأفراد والثقافات.

الدارس للثقافة الجزائرية ببعدها الديني سيجد الكثير من التيارات الدينية النشطة، سواء في المجال الاجتماعي أو السياسي، حيث بدأ التيار الديني في التشكل داخل المجتمع الجزائري قبل الاستقلال في شكله المعتدل البسيط. لكن بعد الاستقلال بدأ التشكل الهيكلي لهذه التيارات يتضح، سواء من خلال تطور خلايا دينية محلية، أو مستوردة من الخارج مثل جماعة الإخوان المسلمين المصرية التي بدأت تنتشر عالميا. في المقابل كانت مجموعة من التيارات أخرى تنشط سياسيا ممثلة في التيار الليبرالي والماركسي، كلها تيارات ساهمت في الحراك السياسي والاجتماعي والتطور الثقافي للمجتمع الجزائري.

ظهر تيار البناء الحضاري ذو بعد الإسلامي الوطني، كما قال يسعد شريف صحراوي على أنه "اتجاه ذو نزعة وطنية يجعل من كتابات مالك بن نبي وابن خلدون وابن رشد، أرضية لصياغة مشروعه، يعرف بتيار الجزأرة، لم يظهر هذا التيار بشكل علني، بل انخرط في العمل السياسي

تحت الجبهة الإسلامية للإنقاذ"(يسعد شريف صحراوي، 2016، ص153). لقد أخذت الكثير من التيارات الإسلامية النشطة في الجزائر في نهاية سنوات الثمانينات العنف وسيلة لفرض فكرها وتجسيد طموحها – دولة إسلامية –، وذلك بعد الرفض التي واجهته من السلطة، وقد وجدت فئة كبيرة من المجتمع تؤيد فكرها الديني المتشدد، وانخرط الكثير منهم في جماعات متطرفة جهادية. وعليه فان ثقافة الدينية للجزائريين تأثرت بالكثير من الأحداث الخارجية العربية والإسلامية، وما رافقها من فكر جهادي وصل إلى مرحلة التطرف، ثم زادت التغيرات الاجتماعية والسياسية التي بدأت حدتها تظهر مع بداية الثمانينات، فأنتجت جماعات دينية متأثرة بفكر مستورد مما احدث صداما مع السلطة، فكانت تفاعلاته عنفا دام لأكثر من عشرية راح ضحيته مئات الآلاف من المواطنين الكثير من المثقفين.

4.1 الثقافــة والهويـــة:

بينت أسماء إبراهيمي أن "العلاقة بين الهوية والثقافة تعني علاقة الذات بالإنتاج الثقافي، ولا شك أن أي إنتاج ثقافي لا يتم في غياب ذات مفكرة، دون الخوض في الجدال الذي يذهب إلى أسبقية الذات على الموضوع في اتجاهه العقلاني.. كما يذهب "لوك" والاتجاه التجريبي بشكل عام، الخلاصة أن الذات المفكرة تقوم بدور كبير في إنتاج الثقافة، وتحديد نوعها وأهدافها وهويتها في كل مجتمع إنساني"(أسماء ابراهيمي، 2018، ص580). لكن إذا كانت الهوية مرتبطة بالذات التي تعني القيم والمثل المبادئ والشخصية، وفي نفس الوقت تعتبر الهوية هي الوعي بالذات الاجتماعية، هذا المركب الذي يؤثر على الإنتاج الفكري للمثقف وعلاقته بمجتمعه، نجد كثيرا من النخب المثقفة تعيش حالة اغتراب مع مجتمعها، هذه الظاهرة ببعدها النفسي تؤثر على عملية الإنتاج الفكري والنقدي.

يقول "دينس كوش" Denys Cuche "كثيرا ما تحيل الاستفهامات الكبرى بصدد الهوية، اليوم، إلى مسألة الثقافة، هناك رغبة في أن نرى الثقافة في كل مكان وأن نجد الهوية لكل الناس. أزمات الثقافة تدان كما تدان أزمات الهوية، أعلينا أن نضع تطور هذه الإشكالية في إطار ضعف نموذج الدولة – الأمة وتوسع الاندماج السياسي ما فوق القومي وشكل ما من عولمة الاقتصاد"(دنيس كوش، 2007، ص147). يمكن إسقاط رأي الباحث حول علاقة الثقافة بالهوية على المجتمع الجزائري، حيث تميزت هويته الثقافية بالاستقرار حتى مرحلة الاستعمار، الذي ظهرت معه الأزمة وزادت حدتها مع التحولات السياسية والتغيرات الاجتماعية التي مرت بها الجزائر بعد الاستقلال، واستعملت أزمة الهوية الثقافية في يد السلطة لأغراض سياسية لدرجة وصولها إلى مرحلة العنف الاجتماعي والثقافي في فترات زمنية معينة.

المجتمع الجزائري كباقي المجتمعات الأخرى، يحمل في بنيته الاجتماعية عدة مكونات الهوية الثقافية، وهي أهم الثوابت الوطنية وتختلف من مجتمع إلى أخر. أول وأهم هذه المكونات هي اللغة، إلا أنها ليست مجرد كلمات وألفاظ للتفاهم بين أفراد المجتمع، لكنها وعاء يحتوي مكونات عقلية ووجدانية، ثانيا الدين (الإسلام/ الوازع الديني) هو احد مقومات الثقافة الجزائرية وهو مكون قوي لهويتها الثقافية. ثالثا التاريخ الذي لا يمكن لأمة من الأمم أن تشعر بوجودها، إلا عن طريق تاريخها الذي يمثل احد أقسام هويتها بكل ما يحمله من انتصارات أو عثرات، أما العادات

والتقاليد فهي فعل اجتماعي متوارث، يرتكز على تراث يدعمه ويغذيه، المكون الخامس هو العقد الاجتماعي والسياسي، بحيث أن لكل دولة عقد اجتماعي من خلال مبادئ وثوابت المجتمع، وما يطابقه من تصور وطموح سياسي مبني في مرجعية العقد الاجتماعي. سادسا الحقوق التي يتمتع بها أفراد المجتمع، وتختلف بحسب تطور المجتمع وتأثير عاداته وقيمه، سابعا الأدب والفنون التي تُعبر عن موروثه المادي والمعنوي لكل صور الفنون الثقافية، والتي تميزه عن باقي المجتمعات الأخرى (بن عودة موسى، 2016، ص102). وعليه تَعرُض أي مُكون من مكونات الهوية الثقافية الجزائرية إلى عملية تشويه وُجودها وهَدم قيمتها، هو ضرب للهوية الوطنية التي توحد المجتمع تحت قيمة ومكانة هذه العناصر.

إلا أن بعض الباحثين يرون أن الثقافة تبقى متحررة ومتغيرة في بنيتها، وليست تابعة بشكل مطلق، باعتبار أن الثقافة تمثل هوية مجتمع أو جماعة، لكن ليست كيانا ثابتا غير متغير تتحكم فيه سلطة معينة مكانيا وزمانيا، مما يبين لنا أن الثقافة هي صورة مجتمع لكنها صورة متحررة غير ثابتة. وهكذا تنعكس تأثيرات الثقافة على قيمة المواطنة لدى الأفراد، حيث يقول تيم ادواردز Tim Edwards أن "القضية المحورية في المواطنة الثقافية هي كيف يؤثر عمل الثقافة على أفكار العدالة والاختلاف في عالم ما بعد الحداثة والقوميات؟. وبالمثل، تضم هذه الأفكار بدورها رؤى للسلطة الثقافية وإمكانية المقاومة والتوزيع غير المتعادل للموارد الثقافية والمادية، ومحاولة التوفيق بين قضايا المجتمع ومسألتي التعدية والاختلاف"(تيم ادواردز، 2012، ص461). وعليه فان هشاشة الثقافة في الجزائر أظهرت الكثير من العيوب في المجتمع والسلطة، مما أظهر تناقضات في مسألة العدالة الاجتماعية ومسألة الحرية والحقوق، والمتضرر الأكبر في هذه المعادلة هو المواطن الذي رأى أن مواطنته ناقصة، وهذا الوضع أنتج مواطن غير مسئول عن سلوكياته وأفعاله، لدرجة اعتقاده أن تصرفاته منفصلة عن الآخر، وهذا يوضح لنا أنه لا يوجد توافق بين أفراد المجتمع والسلطة لا ثقافيا ولا سياسيا.

الثقافة الجزائرية متنوعة وثرية بالاختلاف مما أعطاها خاصية غير موجودة في الكثير من المجتمعات، ولكن هذا الاستقرار الثقافي الذي دام قرون أصبح يشهد الكثير من الأزمات والتحديات بسبب الماضي الاستعماري والتغيرات التي شهدها المجتمع ما بعد الحداثة. هذا الوضع الذي يعرف تفاصيله ومشاكله مثقفي المجتمع الجزائري، لأنهم جزء من الثقافة والأزمة، وهي مهمتهم في فهم وتحليل الأزمة الثقافية وطرح الحلول بطريقة علمية موضوعية نقدية، بما يخدم استقرار الثقافة ومكوناتها باعتبارها حاضنة المجتمع وتفاعلاته المتعددة.

5.1 الثقافـة والعنـف:

يطرح "عنيات" سؤالا حول علاقة الثقافة بالعنف حيث يقول، "كيف ارتقى العنف إلى أن يكون موروثا ثقافيا حقيقيا، يتناقل ربما بقوة أشد من تناقل التسامح؟، كيف أن التسامح يتطلب مجهودا، في حين أن اللاتسامح يعبر عن نفسه بصورة شبه آلية، أو قُل سَهْلة؟"(عبد الكريم عنيات، 2018، ص24). إذا كانت الثقافة ذلك الكل المركب، هل هذا يعني أن العنف - فعل مادي ومعنوي-، عنصر مكون في النسق الثقافي؟، إذن فان الثقافة الإنسانية تحتوي على الكثير من العنف الذي تحول بعضه إلى عنف مبرر، وهذه المظاهر موجودة في المجتمعات الإفريقية

والعربية بشكل ملحوظ في عاداتها وتقاليدها. وما هو عنف في ثقافة مجتمع ما، نجده ضروري ومسموح به في ثقافات أخرى، وقد يعبر على قدرة الفرد – رجل أو امرأة– في تحمل المسؤولية بتحمله عنفا ماديا أو معنويا. رغم أن المجتمع العصري تخلى عن الكثير من العنف التقليدي، إلا أن مظاهر التحول التي عرفها أنشأت عنفا موازيا تعدى الأسرة والمجتمع ووصوله إلى العالمية، عنف جديد تخطى الإنسانية من أجل مصالح ونفوذ الدول المتقدمة، حتى أنتجت الثقافة العالمية مصطلح جديد وهو صنع وتصدير (صناعة الإرهاب) العنف إلى المجتمعات التقليدية الدينية.

وأصبحت السلطة تستعمل العنف أكثر من الأفراد والجماعات تحت غطاء المبرر والقانون والأمن العام، مصطلحات براقة لتغطية وحشية العنف، حيث استعمل لضرب الحرية والديمقراطية. كما تعمدت السلطة إدخال الثقافة في الكثير من المتهات لإضعاف دورها ومكانتها بين الأنساق الأخرى، باعتبارها محرك مهم لتنمية المجتمع ثقافيا، ومثال ذلك مشكلة الهوية الوطنية في الجزائر بين (العرب والأمازيغ والشاوية..)، ومشكلة اللغة وعدم الفصل في أسبقية اللغة العربية، مما فتح الصراع بين النخب المعربة والمفرنسة.

شهدت العشرية السوداء في الجزائر، ظاهرة استهداف النخب المثقفة بشتى أنواع العنف من تهديد واختطاف ثم انتقل إلى مرحلة القتل، وتصفية الكثير من المثقفين الذين كانوا ضد الفكر المتطرف والمتشدد. ظاهرة فقدت الجزائر بسببها الكثير من المثقفين، أما الذين نجوا من التصفية كانت وجهتهم الهجرة إلى الدول الغربية وخاصة فرنسا، لعدة أسباب من بينها اللغة والبعد التاريخي والتقارب الجغرافي، هذه الخسارة أثرت كثيرا على الثقافة الجزائرية باعتبار المثقفين ركيزة من ركائز الثقافة، وطبقة مهمة في تنمية المجتمع والمعرفة وفي الحياة السياسية.

2. المميـزات العـامــة للنخبــة:

كل فئة من المجتمع تتمايز عن أخرى، مما يجعلها تنفرد بخصائصغير موجودة في الفئات الأخرى، وهذه المميزات تكون إما مكتسبة أو خاصة (موهبة)، مما تجعلهم ينتمون إلى الصفوة البارزة والحاكمة في مجتمعهم، وينشطون في جميع العلوم والمجالات الحياتية ومن أبرز هذه الصفات:

1.2 التميـز: ينظر أصحاب الاتجاه السيكولوجي في تناول "النخبة" ومنهم "باريتو" إلى أفراد النخبة باعتبارهم عناصر يشكلون فئة تتوفر فيها مميزات النبوغ و التفوق والذكاء والقدرة على القيادة، والتميز على الآخرين في النشاطات التي يشرفون عليها وحسب نظرهم فإن هذه المميزات الذاتية هي التي تجعلهم في صدارة الطبقات الاجتماعية، وتعطيهم الأفضلية في المناصب القيادية والسياسية والثقافية.

2.2 التنظيـم: من بين مميزات النخبة حسب أنصار الاتجاه التنظيمي في دراسة النخبة والذين نجد من بينهم "موسكا" وتلميذه "متشلز"، اعتقادهم بأن أية مجموعة لا يمكنها الوصول إلى مصاف الفئة النخبوية إلا إذا توفرت فيهم القوة التنظيمية وتقديرها الدقيق لمصادر السلطة

ومراكز القوة في المجتمع، وتعد هذه الميزة من بين أهم الميزات التي تختصبها النخب الحالية خاصة في عهد العولمة المبنية على المصالح والتحالفات.

3.2 الاحتكـار: تسعى النخب إلى احتكار رؤوس الأموال المتوفرة لديها سواء أكانت رؤوس أموال اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو رمزية...الخ، لأنها تشكل عامل قوة بيدها، وفي حالة ما إذا لم تتوفر لديها رؤوس الأموال هذه، ستسعى للحصول عليها بكل الطرق المتاحة.

4.2 الدوران: إن البشر هم صانعو التاريخ عبر ملاحمهم وإنجازاتهم وإخفاقاتهم وأخطائهم، وهكذا فانه كما يمكن للأفراد الانتقال من طبقة إلى أخرى عبر ما اصطلح عليه علماء الاجتماع "بالحراك الاجتماعي"، وهناك ظاهرة جديدة وهي وصول فئة الأغنياء إلى السلطة رغم عدم درايتهم بالعمل السياسي، ودخول المال الفاسد إلى السياسة لأنه استعمل للوصول إلى مناصب سياسية مثل أعضاء البرلمان، وهذا ما حدث في الجزائر والكثير من البلدان العربية.

3. النخب المثقفة وبناء مشاريع ثقافية فكرية:

عرفت الجزائر في السنوات الأخيرة عدة أزمات سياسية اقتصادية واجتماعية، فتحت المجال لبروز أزمة أخرى أكثر أهمية ووقع على مجتمعنا، وهي الأزمة الثقافية التي تعتبر أيضا أزمة نُخب مُثقفة، حيث وجدت الساحة الثقافية المليئة بالصراعات الإيديولوجية والسياسية والاجتماعية، بأبعادها اللغوية والدينية عبر تاريخ ثقافي تعرض للكثير من المتغيرات، ومن خلال ذلك سنحاول التطرق إلى المشروع الثقافي لدى المثقف في المجتمعات العربية وفي المجتمع الجزائري، مبرزين أهم التحديات والصعوبات والأفاق لدى المثقف والمجتمع:

1.3 أهم التحديات التي تواجه المشاريع الثقافية في البلدان العربية:

تعرضت الثقافة العربية إلى مجموعة من الهجمات الثقافية الدخيلة عن هويتها العربية الإسلامية، في إطار العولمة الثقافية الغربية بوجه الخصوص، وما ساعد انتشار هذه الثقافة هي وسائل الإعلام، التي أظهرت لنا ثقافة المجتمعات الغربية والتي كثيرا ما تتنافى مع الثقافة العربية، حيث بينت لنا أنه مجتمع مادي بثقافته الاستهلاكية وثقافة الأنا، فقد انتقل المجتمع الغربي من العائلة الكبيرة إلى الأسرة الصغير، هذه الظاهرة بدأت تنتشر في المجتمعات العربية، وبها ستفتقد قيم الوحدة والتعاون والتآزر. كما انتقل الوضع من نقل الثقافة إلى المشاركة فيها والتواصل معها، عبر مواقع التواصل الاجتماعي ما أنتج جيلا جديدا متأثرا بالثقافة الغربية تفكيرا وسلوكا.

يرى بعض الباحثين العرب أن الثقافة العربية تعيش مرحلة "الارتقاء" عن الثقافة العالمية في فترة معينة، وهذا قد يمثل رفض العقل العربي للتجديد، من أمثال تركي الحمد الذي يرى "أنه بالنظر إلى خصائص الثقافة العربية والعقل العربي لمتحدث عنها، فانه يمكن الوصول إلى جواب معين وهو أن الثقافة تعتقد أن العلوية (الاستعلاء) في ذاتها، وإن كانت تدرك حسيا أنها ليست كذلك في هذه المرحلة من التاريخ على الأقل"(تركي الحمد، 2014، ص246). إن كانت مسألة

العلوية تعني الحفاظ على الهوية الثقافية العربية، وذلك من خلال السير ضد تيار العولمة الثقافية فهذا سيفقدها مكانتها كثقافة فرعية ثرية بتنوعها عريقة بحضارتها. مسايرة التيار أصبحت حتمية عالمية وهنا يأتي دور المثقف العربي لإظهار هويتنا الثقافية، ممثلا في العقل العربي المتحضر القابل للتنوع الثقافي والفكري، سواء في كتاباته وخطابه العلمي والعقلاني بعيدا عن الانعزالية والتشدد دون الذوبان الكامل.

من أهم المشاريع الثقافية لدى المثقفين العرب التي يجب المحافظة عليها والتأسيس لها هو الدين "الإسلام"، وإضعاف الإسلام هو إضعاف لهويتنا. ولارتباطه الوثيق باللغة العربية لأنها تعتبر من بين أهم محددات المكونة لهويتنا الثقافية، وللمحافظة عليها يجب استعمالها وذلك من خلال تعميمها في المجال التعليمي دون إهمال اللغات الأجنبية، خاصة عند فئة الشباب. حيث خصصت الإمارات المتحدة العربية جائزة قيمة "تحدي القراءة العربي" لفئة الأطفال لربطهم بلغتهم الأم. فالعالم يتميز "بنوع ثقافي كبير فقد يزخر بما يقارب ستة ألاف لغة، والمستخدم منها على مستوى العالم ثلاث لغات فقط يتحدث بها 92% من سكان العالم، وهذا حسب تقدير منظمة اليونسكو"(المعتصم بالله أحمد خلايلة، ص262). إن استخدام البلدان العربية للغتهم الأم يعتبر ضعيفا في الممارسة الفعلية، خاصة أنهم حافظو على لغة المستعمر أما البلدان التي حاولت تعريب جميع تعاملاتها ومراسلاتها، وجدت نفسها ملزمة باستعمال لغة العلم والمعرفة – اللغة الانجليزية، وحتى السياسات الداخلية للسلطة لم تشجع عملية التعريب، حيث أن الكثير من القطاعات مازالت تستعمل اللغة الفرنسية بشكل كبير، وهذا الوضع أكثر انتشارا في دول المغرب العربي، وهو إهمال لهويتنا اللغوية وتشويه لقيمتها الحضارية والإنسانية.

صناعة أو إنتاج النخب هي عملية مهمة لبقاء المجتمع في نفس مسار المجتمعات المتطورة وضمن التاريخ الإنساني، كما تنتهج الكثير من الدول على عملية إنتاج نخبها سواء في الميدان الثقافي أو السياسي والاقتصادي والتقني، دول مثل بريطانيا وأمريكا وفرنسا صنعت نخبها حتى وصلوا إلى مناصب حساسة، وخير دليل هو الرئيس الفرنسي امانويل ماكرون " Emmanuel Macron" هو خريج المدرسة الوطنية للإدارة. أما في المجتمعات العربية لا نجد ثقافة أو سياسة لدى السلطة لإنتاج نخبها المثقفة، من أجل بناء مجتمع يمكنه الاعتماد على أبناءه في ظل عالم غير مستقر كثير التحولات والصراعات والمصالح.

2.3 أهم التحديات التي تواجه المشاريع الثقافية في الجزائر:

للخروج من الأزمة الثقافية في الجزائر بأبسط الأضرار، أو التخفيف من حدتها وأثارها الظاهرة بشكل واضح في المجتمع، في مشاكل ثقافته وهويته الدينية واللغوية والإثنية والسياسية. وجب وبشكل سريع على السلطة السياسية إعادة الاعتبار لجميع النخب المثقفة (ثقافية، أكاديمية، سياسية، اقتصادية..)، من خلال حرية التعبير –النقد- وحرية نقل المعلومة، وحرية إقامة موائد فكرية حول أهم القضايا السياسية والثقافية، وحرية إنشاء مراكز الفكر المهتمة بالدراسات الإستراتيجية الاستشرافية، وإشراك المثقفين في الحياة السياسية لتنظيف أهم مؤسسات الدولة

خاصة البرلمان بغرفتيه من الفساد والجهل البيروقراطية. كما ستعمل هذه الخطوة على تقريب المثقف من أصحاب القرار السياسي "السياسة"، بما يخدم المصلحة العامة، وفي نفس الوقت ستعمل على توحيد المثقفين في شكل كتلة متحدة أهدافها متقاربة. رغم أن السلطة فتحت المجال الديمقراطي وحاولت تحسين عملية التواصل بينها وبين النخب في أهم القضايا الوطنية، إلا أنه مجال ضيق لا يسمح للمثقفين التحرك فيه بحرية.

أما الخطوة الثانية فتتمثل في دور المثقف والسلطة بدرجة أقل، على تحديد أهم نقاط الاختلاف والصراع في الثقافة الجزائرية، سواء بين فئة المثقفين فيما بينهم حسب اختلاف توجهاتهم الفكرية، والانتقال إلى الخلاف الموجود بين المثقف والسياسي الذي يعتبر من القضايا الشائكة، وهي عملية كثيرة المراحل والأطراف ومتعددة القضايا، لكن يجب العمل عليها حتى لا تدخل الثقافة الجزائرية في غيبوبة عواقبها خطيرة على المجتمع ككل وعلى الأجيال القادمة.

عندما تكلم ألان تورين Alain Touraine حول موضوع المثقفون ضد الحداثة، موضحا تاريخية العلاقة وكيف بدأت بالدعم والاهتمام إلى أن انتهت بالرفض والتخاصم، حيث يقول "بقدر ما كان مثقفو منتصف القرن التاسع عشر مشحونين بأحلام المستقبل، كان يسيطر على مثقفي منتصف القرن العشرين الشعور بالكارثة وباللامعنى وباختفاء صانعي التاريخ. كانوا قد اعتقدوا أن الأفكار تقود العالم، فانحدروا إلى مجرد إدانة صعود الهمجية الحتمية أو السلطة المطلقة أو رأسمالية الدولة الاحتكارية"(ألان تورين، 1997، ص206). أصبح المثقفون غير راضين على التوجه الحداثي المتطرف الذي تسير فيه غالبية الأنظمة السياسية، وهذا التوجه يعبر عن الرغبة المادية التي سيطرت على السلطة، متنكرة لكل ما هو معنوي رمزي مما أثر على ثقافة المجتمعات باعتبارها ثقافات فرعية، وهذه الأخير تواجه تحديات كبرى بما يسمى العولمة. وعليه بقيت النخب المثقفة هي الحامي الأخير للثقافة والفكر والبحث العلمي، هي ثقافة تمثل هوية مجتمع وتاريخ أمة.

منظومة التبعية التي فرضتها السلطة على النخب العلمية –المدرسين-، عبر عقود ومراحل حتى اندمج المثقف الأكاديمي بشكل رهيب، لدرجة يعجز عن الاستغناء عنها وظيفيا وماديا، ولا يستطيع نقدها ولا إعلان رفضه لها، هذه الوضعية التي دفعت المثقف إلى الرضوخ والتراجع والصمت، يجب على النخب المثقفة الحقيقية التقليل من حدتها ودفع مضارها الفكرية، والعمل على إيجاد البدائل حتى يتحرر المثقف وخاصة الأكاديمي المرتبط ماديا بالسلطة على الاعتماد عليها، حتى يصبح متحررا فكريا يجب أن يتحرر ماديا، خاصة إذا كان للمثقف مشروع ثقافي بنائي، ونجاحه سيدفع المجتمع على إنجاب أجيال واعية. لأن علاقة المثقف بالسلطة والسياسي ستبقى متوترة باعتبار هذا الأخير أقام سلطة على حساب أوهام مجتمعه، ولأنه أدرى بتاريخ السياسي الأسود وحاضره الفاسد ومستقبله المجهول. لأن مشروع المثقف يجب أن يتمتع ببعض الصفات، من بينها انطلاق مشروعه كفكرة مبنية على أهداف خالية من المصالح الشخصية المادية، كما قال برهان غليون "هذا يعني أنه لا يمكن لنخبة أن تنشأ وتكون فاعلة وقادرة على إنشاء جماعة سياسية من دون تحقيق شرطين: الاستقلال عن أصحاب المشاريع والأعمال والمال

من جهة، وتكوين وعي واضح بالمسؤولية تجاه المجتمع والرأي العام من جهة ثانية"(برهان غليون، 2010، ص14). إلا أن المتابع للوضع السياسي الجزائري خاصة في السنوات الأخيرة، سيلاحظ ذلك سيطرة أصحاب المال على النخب مما وضع هيبة مؤسسات الدولة (التشريعية) على المحك، وفقدت النخب السياسية وزنها بين العامة (الشعب) وأمام قوة السلطة.

لنجاح مشروع المثقف والوصول إلى نتائجه الثقافية على المجتمع والسلطة، في إطار الارتقاء بالفكر الجماعي للمجتمع والانفتاح الديمقراطي والسياسي للسلطة، ذلك لخلق فضاء مبني على الحوار البناء لكل الفاعلين، يجب على النخب الحذر من تمييع الثقافة "ماديا"، هذا النسق المادي أصبح أكثر خطورة خاصة عندما انتقل ليصبح فكرا وإيديولوجية في سياق تطور المجتمعات، لأنه فيما مضى كانت الثقافة عبارة عن رسالة إلا أنها تحولت إلى آلية للربح المادي السريع، وهذا ما هو منتشر في المجتمعات الغربية لما تتمتع به من إمكانات.

قبل أن نتكلم عن تأثير وسائل الإعلام على المشروع الثقافي في الجزائر، يجب أن نتحدث عن اصطدام الثقافي بالمادي وتأثيراته السلبية والايجابية، أولا الجزائر لم تصل ثقافتها إلى مرحلة الذوبان في الماديات ببعدها التجاري والاقتصادي، لان النخب الاقتصادية الجزائرية لا تمتلك ثقافة المتاجرة الثقافية خاصة في المجال السينمائي والمسرحي والأدبي بشكل عام، وهي مبتدئة في هذا المجال مقارنة ببعض الدول العربية والإسلامية مثل مصر وسوريا وتركيا. لكن البعد المادي لديه ايجابيات ولا يمكن الاستغناء عنه، مثلا في عملية التسويق الثقافي والسياحي للبلاد، وعمليات الطبع والنشر رغم غلبة الجانب التجاري على الثقافي، إلا أنها مهمة في نشر المعرفة وكتابات المثقفين للجمهور. أما وسائل الإعلام في الجزائر رغم كثرتها لم تعطي الثقافة حقها، وركزت اهتمامها بالجانب السياسي والترفيهي لارتباطه بمداخيل القنوات الإعلامية –الإشهار، وباعتبار أن الجمهور "المشاهدين" لا يهتمون بالحصص الثقافية، لهذا وجب على النخب المثقفة مضاعفة الحصص والندوات الثقافية عبر وسائل الإعلام، وكذا إنشاء قنوات متخصصة بكل ما هو ثقافي.

خاتمة:

لم تعرف ثقافة المجتمع الجزائري جمودا عبر تاريخها الطويل، بل شهدت الكثير من التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، تماشيا مع تغيراتها الجغرافية التوسعية عن طريق حروبها وثوراتها، والتي فتحت المجال لبروز ثقافات متعددة في الجزائر، جعلت من المثقف يلعب دورا كبير في دراسة المجتمع ويلعب دورا أبرز في ثبات بنية هذا المجتمع باعتباره عاملا أساسيا من العوامل المؤثرة في التجديد الثقافي والتنوع الحضاري، الذي يجعل من البنية الثقافية أداة للحفاظ على القيم والمبادئ والعادات والتقاليد عبر الأجيال لاكتساب هوية ثقافية واستقلالية وطنية تدعم إنتاج نخب في مختلف المجالات والأصعدة وتمثل المجتمع وتحافظ عليه.

كما كان للنخب الجزائرية تأثيرا على مسألة الإشكالية الثقافية بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، رغم اختلاف التأثير من نخبة إلى أخرى وحسب وزن المتغيرات. إلا أن بعضها وجد لنفسه مكانة في ظل التحولات التي عرفها تحول فكر النظام وطريقة تعامله مع

الفاعلين، فإذا نظرنا إلى النخبة الاقتصادية قبل عشرة سنوات سنجدها غير مأثرة ولا متأثرة بالسياسة، وبقيت علاقتها بالسياسة سطحية، وهذا ما أثبتته دراسة حسان مراني على أن 54.67% من الإطارات الاقتصادية (باعتبارها نخبة) أكدوا أنهم يهتمون بالقضايا والأحداث السياسية، و43.33% أكدوا عدم اكتراثهم بالقضايا نفسها، و90% منهم صرحوا أنهم لا ينتمون لأي تشكيلة أو تنظيم سياسي(حسان مراني، 2005، ص30). إلا أن هذا الوضع تغير جذريا بسبب تغير رؤية النظام السياسي، الذي أعطى دفعا كبيرا للنخبة الاقتصادية، وذلك من خلال فتح المجال لأصحاب المال والأعمال لممارسة العمل السياسي، رغم الانتقاد الذي تعرضت له هذه الظاهرة وسمته الفساد السياسي، وما أعطى النخبة الاقتصادية وزنا وفعالية هو إنشاء "منتدى رجال الأعمال" برئاسة رجل الأعمال "علي حداد"، الذي وجد دعما من النظام في مقابل تبادل المصالح بينهما.

قائمة المراجع:

1.إدريس صابي(2014)، المثقف والسياسة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

2.إدوارد سعيد(2005)، الأنسنية والنقد الديمقراطي، ترجمة: فواز طرابلسي، دار الآداب للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان.

3.أسماء إبراهيمي(2018)، العلاقة بين الثقافة والهوية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلد 7، عدد 14، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، الجزائر.

4.ألان تورين(1997)، نقد الحداثة، ترجمة: أنور مغيث، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

5.برهان غليون(2010)، في النخبة والشعب، حاوره لؤي حسين، دار بترا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سوريا، دمشق.

6.بن خدة نعيمة(2012-2011)، المثقف والسلطة عند ادوارد سعيد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة وهران.

7.بن عودة موسى(2016)، الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة، مجلة المعيار، العدد الثالث عشر، قسنطينة، الجزائر، جوان.

8.تركي الحمد(2014)، الثقافة العربية أمام تحديات التغيير، دار مدارك للنشر، الإمارات العربية المتحدة.

9.تيم ادواردز(2012)، النظرية الثقافية: وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، ترجمة: محمود أحمد عبد الله، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.

10.حسان مراني(2005)، محاولة من اجل تحديد بعض العناصر الأساسية المكونة لهوية الإطارات، الإطارات الصناعية: شروط تكوين نخبة حديثة، دفاتر المركز، المركز الوطني للبحث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر.

11.دنيس كوش(2007)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الاولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
12.سلاف نعيمة وكدورلي عبد الكريم(2015)، الثورة الجزائرية وانقسامية النخبة المثقفة، مجلة عصور الجديدة، العدد 24-25، الجزائر، جانفي – جوان.

13.سماح بلعيد(2012)، المثقف اللامنتمي اجتماعيا وتجلياته في الخصوصية المجتمعية الجزائرية: نظرة نقدية حالة الجزائر منذ انتفاضة أكتوبر 1988، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 28/27.
14.عمر بن قينة(2000)، المشكلة الثقافية في الجزائر: التفاعلات والنتائج، دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، عمان، الأردن.
15.عبد الكريم عنيات(2018)، من ثقافة الإدانة إلى إدانة الثقافة: نحو نظرية فلسفية جديدة للثقافي، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، العدد 26، جامعة سطيف.
16.عبد الغني عماد(2006)، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكالات... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان، فبراير.
17.قرفي عبد الحميد(2011)، دور المثقف في فهم وتفسير الواقع في المجتمع، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع23، نوفمبر.
18.لبيب الطاهر(1992)، الثقافة والمثقف في الوطن العربي، سلسلة كتب المستقبل العربي (10)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان.
19.مروان راسم كمال(دس)، دور الجامعات في الثقافة الوطنية، فيلادلفيا الثقافية، جامعة فيلادلفيا، كلية الآداب والفنون.
20.المعتصم بالله أحمد الخلايلة(2018)، أبعاد العولمة الثقافية على الهوية العربية في عصر أحادي القطبية، مجلة التراث، العدد 8، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر.
21.نبيل حليلو وطارق مخنان(2013)، دور النخبة المثقفة في المجتمع، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 07: سبتمبر.

22.يسعد شريف صحراوي(2016)، مسألة الثقافة في الجزائر بين الهوية والاندماج، المجلة الجزائرية للسياسات العامة، العدد 9، جامعة الجزائر3، الجزائر، فيفري.
23.Djamel GUERID(2002), Algérie: dualité de la société et dualité de l'élite les origines historiques, ELITES ET SOCIETE: ALGERIE et EGYPTE, EREAD- ARCAASD, Casbah éditions.
24.Mustapha HADDAB(2002), pour une approche structurale du champ des élites en Algérie, ELITES ET SOCIETE: ALGERIE et EGYPTE, EREAD- ARCAASD, Casbah éditions.